٤

مقالة فى أمارات الاقبال والدولة

ذكر البيرونى هذا العنوان فى قسم ما ألفه الرازى « فى فنون شتى » [١] وذكر ابن أبى أصيبعة المقالة بعنوان « كتاب علامات إقبال الدولة » [٢] . وقد اعتمدنا فى نشرتنا على النسخة المخطوطة بخزانة راغب باشا تحت رقم ١٤٦٣ ورق ٩٨و — ٩٩ظ ، والمقالة ترد فيها عقب « المقالة فيما بعد الطبيعة » المنشورة من قبل[٣] . ومحتوى هذه المقالة سياسى أكثر منه فلسفى ولعل الرازى ألفها قصداً منه إلى التقرب من بعض أمراء زمانه [٤]

---

(١) فهرست كتب الرازى رقم ١٨٢

(٢) ج ١ ص ٣١٨ س ٢٩

(٣) راجع ما قلناه فى ص ١١٣

(٤) تذكرنا مقالة الرازى رسالة منسوبة إلى يعقوب بن إسحق الكندى « فى ملك العرب وكميته » غير أنّ الرازى لا يكاد يشير فيها إلى أحكام النجوم كما فعل الكندى . راجع O. Loth, *Al-Kindî als Astrolog* (Morgenländische Forschungen, Leipzig 1875, p. 261-309).

٩٨ و

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو بكر محمد بن زكرياء الرازىّ : اعلم أنّ الأمر المسمّى إقبالاً ودولة وإن كان القول فى سببه والنظر فيه والإبانة عنه عسراً غامضاً وطويلاً بعيداً فإنّ لمجيئه ومُوافاته أمارات وشواهد مبشّرة به . وغرضنا فى هذه المقالة ذكر بعض هذه الأمارات | باختصار وإيجاز ما أمكن ذلك ٩٨ ظ

فنقول وبالله التوفيق : إنّ من أمارات الإقبال التنقّل والعلم < الذى > يقع للمرء ضربةً واحدةً ورفعه إلى حال جليلة بالإضافة إلى ما كان عليها . وذلك أنّ حدوث مثل هذه الحال يدلّ على تيقّظ السعادة له — كائناً ماكان ، عن أى سببٍ كان إلهىّ كان أوطبيعى — بقوة قويّة لا تكاد تقصر وتنى وتخمد سريعاً لفرط قوتها وغزارة مادّتها . والدليل على ذلك اضطلاعها بنقل المنقول هذا النقل الغريب البديع الذى لا يمكن أن يحدث من قوة مهينة ولا نُزرة مادّة ، فوقوع النقلة من حاله إلى ما هو أجل منها كثيراً جدًّا من أمارات وفور قوة الناقلين وغزارتها ومن أجل ذلك هو أحبّ الأسباب الدالّة على الإقبال

ومن أمارات الإقبال والدولة اتّساق الأمور واطّرادها ومجيئها ووقوعها على موافقة التنقل المُدال ولو فى دقائق الأشياء وخسائسها فضلاً عن جلائلها وعظائمها ، لأنّ ذلك يدلّ على أنه مسوس ومكفىّ ومؤيَّد بقوةٍ غير قوته وأنه متكفّل به ومصنوع له

وقد كانت قدماء الملوك وأجلّتهم يستدلّون بما يُقدّم إليهم الطبّاخون من الأطعمة التى كانت تقع بوقوع شهواتهم — من غير أن يكونوا تقدّموا إليهم فيها

---

(٨) كائنا ما : وفوق السطر : من كان — (١١) أن يحدث : اضيف على الهامش (١٣) وغزارته خ — (١٥) التنقل ، صححه الاستاذ احمد أمين : التبتل خ

وأمروهم بها — على ثبات الإقبال والدولة فضلاً عمّا يقع من < غير > ذلك من جلائل الأشياء وعظائمها كنكبات الأعداء وبوار المضادّين والمخالفين والمنازعين

ومن أمارات الإقبال والدولة ما يحدث من أخلاق النفس الموافقة للرياسة المُعينة المقوِّية عليها بعلوّ الهمّة والنبل والجود وقلّة مهابة الأكفاء وفضل الرأى وإجادته ، فإنّ مثل هذه الأمور لا تحدث فى الإنسان إلاّ وهو يُراد | ٩٩ و
المرتبة التى يرتقى إليها بهذه الأخلاق ونحوها ، فاْعلمه

ومن أمارات ذلك أيضاً عشق الرياسة وفرط محبّته لها حتى إنه لا يرى عيشاً إلاّ بها ولا يَهِمُ أمراً سواها . فإنّ ذلك يدلّ على أنه مهيّأ لها ، لأنّ الطبيعة لا تفعل شيئاً باطلاً بتّةً ولا تترك قوة عطلاً ، ولم يكن يتمكّن فى نفسٍ هذا المعنى هذا التمكّنَ ويقوم فيها هذا المقامَ إلاّ وهى نفس مهيّئة للرياسة لا غير . ولولا ذلك لكانت هذه القُوى فيها فضلاً وباطلاً ، وذلك ما لا يكون

ومن أمارات ذلك أيضاً ما يحدث له من الحِلم والتُؤَدَة فى الأمور التى فيها لَبسٌ وشُبهة ، لأنّ ذلك يدلّ على أنه محروس من ركوب الخطايا والوقوع فى الزلل وأنه مجرىٌّ به إلى إدراك حقائق الأمور

ومن أمارات ذلك أيضاً فضل صدق ودقّة حسّ النفس والادّكار والتخمين على ما كان له قبلُ ، فإنّ ذلك يدلّ على أنه مسدَّد موفّق بقوة إلـهيّه تجرى به إلى أن يكون فاضلاً ورئيساً سائساً لشدّة حاجة الرئيس والسائس إلى فضل وعلم واستغناء المسوسين عن مثل ذلك لانتساب أمرهم إلى السائس واكتفائهم بسياسته

ومن أمارات ذلك أيضاً الميلُ إلى موافقة الخلطاء والأصحاب والأعوان

---

(١) يقع من ذلك ومن جلائل خ — (٥) فان قيل هذه الامور خ — (٦) إليها وبهذه خ — (٩) باطلاقه ولا خ — ولم يكن ليمكن خ — لعل الصواب : من النفس — (١٠) وتقوم خ — (١٢) له فى الحلم خ — (١٦) والتخمين لى ما خ — (١٨) المسوس عن خ

والمحبّة لصلاح أمورهم باستجلاب مَوَداتهم وخلوصهم له — لأنّ ذلك يدلّ على أنه قد أُعطى القوة التى تدوم — وتسخيرهم وربطهم بها لنفسه ، و [فى] ذلك أن لا يتفرّقوا عنه وأن لا يُضمروا له سوءاً وأن لا يروا عيشاً إلاّ معه وبه . ونتج <من> ذلك صِدقُ مجاهدتهم الأعداء عنه وبذلُهم أنفسهم دونه

ومن أمارات ذلك أيضاً إقبال الخدم والأصحاب <عليه> وفضل إجلالهم ومهابتهم له من غير أن يكون حدثت له فى ذلك الوقت حالة ظاهرة توجب
٩٩ ظ ذلك | من مزيد فى رتبةٍ أو زيادةٍ فى إحسانٍ أو إساءةٍ ، فإنّ ذلك إذا كان دلّ على أُبَّهَةٍ حادثةٍ إلٰهيّة واقعة فى النفوس طارئة عليها دلالةَ الرياسة والدولة

ومن أمارات ذلك أيضاً خُلُوُّ قلبه من الضغائن والأحقاد التى كانت فى نفسه على أكفائه وأجلّة أصحابه وخُلطائه فضلاً عليهم ، وإنها ممّن يُحبّ أن يسوس ويستصلح لا ممّن يستفسد

ومن أمارات ذلك أيضاً ميل النفس إلى العدل وكراهيتها الجور وإن كان له عاجلُ ناجزٍ ، لأنّ ذلك يدلّ على أنّ نفسه مُوقِنة بالتمكّن من الملك ودوامه وليست مختَطِفة مغتنمة . وليس ذلك منها إلاّ بحمل قوة إلٰهيّة لها على ذلك ، ولن يقع هذا الحمل منها لها على هذا المعنى إلا وقد أهّلها لدوامه وبقائه وأكسبه ذلك ميل الرعايا المملوكين والمسوسين إليه . وفى ذلك توطيد ملكه وإرساء قواعده والبعد من الوهن والتضعضع وانعزال المناوئين والمضادّين وإجلالهم إيّاه وشوقهم إلى مثل حاله إن ساسهُ

فهذه أمارات الإقبال الأشرف الأعظم والتى يرجع إليها ويدخل فى جملتها سائر الأمارات الصغيرة الجزئية

---

(١١) تسوس خ — وستصلح الا من ستفسد خ — (١٣) عاجل ماحر خ — (١٤) قوة الهيئة خ — وان يقع خ — (١٥) وقد أهله خ — (١٥-١٦) والبسته ذلك قبل الرعايابالمملوكين خ — (١٧) وانحزال خ — ساسه : كذا خ — (١٩) الجزئية آخر المقالة والحمد لله حق حمده ومستوجب شكره وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله الطيبين الطاهرين وسلامه خ